235

المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستريح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون
وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة و
محمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف
دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود حالها
او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسره كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل
عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مبتدا وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرا ابن كثير
وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فآزره
فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى
على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في بدو الاسلام
ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة سورة
الحجرات مدنية وآيها ثماني عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل
ما يمكن او يترك لان المقصود نفي التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي
الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم
اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي

عن

عن الفعل المعلل باعتبار التادية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس
كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير
الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وآله وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة
ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمها اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل
او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه
لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمدهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين
والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دال على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والافصاح وتعريضا بشناعة الرفع
والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها او خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء
وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبتدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي قطعة من
الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى المفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء
ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة
بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة فنادوا فقال يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بفعلها على الثبوت ولذلك وجب اختصار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي
ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو
خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وآله وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا